بورخس وذاكـرة شكسبير
بين الفنطازيا السحريـة وعلم الباراسايكولوجية

د. فـاطمـة بـدر

كتب بـورخـس قـصـة (ذاكـرة شكـسبـيـر) ضمن مجمـوعـته القـصصيـة التي تحمل العنـوان نفسه وقد أفادت هذه القصة ذات المسحة الفنطازية من معطيات علم الباراسايكولوجية لتحلق في عالم الحلم والاستبطان، ولتخلق عـوالم غير مألوفة؛ إذ يتجاوز الراوي (هيرمان سوريل) الحواجز الزمنية، والسفر في غياهب الماضي بعد معايشات ذاتية لشخصية الشاعر المسرحي (وليم شكسبير) عن طـريق التخـاطـر؛ إذ يمنح (ثورب) أحدى شخصيات القصة (لسوريل) ذاكرة شكسبير النفيسة التي حصل عليها من أدم كلاي.

يقول ثورب: "كنت طبيباً عسكرياً ...في الشرق، في مستشفى ميدان ... وكان هناك جندي اسمه أدم كلاي، أصيب مـرتـين، ومـنحـني الذاكرة النفيسة وهو يتلفظ أخر أنفاسه".

لقد قبل سوريل ذاكرة شكسبير وشروطها المتضمنة الأتي:

أن يهب المانح الذاكرة للمستلم بصوت عـال، وأن يقبلها المستلم بالأسلوب نفسه، ومن يهبها يخسر إلى الأبد؛ وتظهر هذه الذاكرة في الأحلام، وفي اليقظة وقد تختلط الـذاكـرتـان معاً (ذاكـرة سـوريل الحقيقية، وذاكرة شكسبير).

لقد وظف بـورخـس الحـدث فـوق الـطـبـيعي، وبـذلك حـول ذاكـرة شكسبير بكل خيوطها السحرية والشفافة إلى مركز التوتر لخلق عالم غير تقليدي، وسعياً منه إلى كسر قوانين العالم الأصلية، لأن العالم الفنطازي يرفض كل ما هو طبيعي في الحياة ويحتج عليه من جهة، ومن جهة أخرى يتـآزر مع العـالـم الـطـبيعي ويمتـزج معه ليحقق عالماً فنطازياً عجيباً مغايراً لعالم الواقع.

لقد اتسمت طريقة المحكي للقصة من حيث التفوه بالمسرود، ووصف مكوناته بالدخول في عوالم قائمة على الـسـحـر والمتعة من جهة، وعوالم من التخييل القائمة على الخوف والفزع والتردد والوهم من جهة أخرى كما في قوله:

"فضلت الإعتقاد بأن هبة ثورب كانت وهماً". وبهذا يتحقق ثالوث المحكي الفـنـطـازي (المخيلـة، الذاكرة، اللاوعي)؛ ويبدأ (سوريل) بـالتـأمل والتسـاؤل قبل أن يقبل الهبة.

يقول: "جلست متأملاً ألم أقض حياتي كلها، على نحو غير ممتع وغريب بحثاً عن شكسبير؟ أليس من الأنصاف أنني وجدت ضالتي بعـد كل هـذا العنـاء"؛ وبعـد أن دخلت الذاكرة في دماغ (سوريل) حدث تحول تـدريجي في أحلامه، وبدأت ذاكرته الشكسبيرية تنعشه، وبات يعتقد بأنه شكسبير. لقد أعطى الاتصال (التخاطر) بعداً ايحائياً، بوصف الاتصال مكوناً داخلياً وعضوياً للفنتازيا شأنه في ذلك شـأن الحلم والهـذيـان والهلوسة؛ ويفسر هذا الحدث فوق الطبيعي تفسيراً عقلياً، فقد تحقق الاتـصـال بفضل امتلاك ثورب خاتم سليمان. تتأثر الطاقة التخاطرية (المسؤولة عن الإدراك الحسي الفائق) من خلال المعايشة بعمليات العقل الباطن الخفية، التي تتم في ذهن الشخص المدرك، لذا يبدأ (سوريل) بالتساؤل عما سيحدث مع هذا الشيء الجديد.

يقـول: "مـا الـذي سيحـدث مع الـشيء المجرد والمتغيـر إذاً؟ مع ذاكرة سحرية لإنسان ميت مثلاً؟ ليس في ميسور أحد أن ياسر في لحظة واحدة شراء ماضيه كله ... لا أشكل سوى وريثه الجزئي".

نستشف من هذا أن توليد الطاقة التخاطرية عملت على خفض مستوى الصحو لدى (سوريل)، لذا نراه يعيش تياراً مستمراً من الأفكار المتغيـرة، والقفـز من موضوع إلى آخر، وهذا يقودنا إلى معرفة أسباب حدوث تحول في شخصيـة سـوريل وانقلابهـا بـ (التخلص من ذاكرة شكسبير) أولاً. لقـد اكتـشف (سـوريل) إن ذاكرة شكسبير قادرة على كشف ظروف شكسبير الإنسان فقط، وما أراد سوريل هو شكسبير الشاعر والمسرحي لا الإنسان؛ ولأن "الشيء المهم هـو الأدب الـذي أنتجه الـشـاعـر" ويقـول أيضـاً: "لقـد اكتشفت إن الجنس الأدبي يتطلب موهبة للكتابة لا امتلكها فأنا لا أعرف كيف أروي قصتي وهي قصة أكثر غرابة من قصة شكسبير".

ثانياً عندما تختلط الذاكرتان يحدث تصادم واختلال في دماغ (سوريل) نحن نعلم أن في حـالـة التذكر نحتاج إلى تفريغ الدماغ والانتـظـار لحين ظهـور الفكـرة الـصحيحـة في شعـورنـا فـإذا اختلطت الـذاكـرتـان تـرى مـاذا سيحـدث؟ الجـواب هـو يتـعـرض الدماغ إلى الضرر بسبب العمليات الفكرية والذاتية، إذ ترد المعلومات مـشـوشـة إلـى الـدمـاغ فتحـدث معايشة مشوشة، وتعتمد شدة تشويه معلومات الإدراك الحسي الفـائق الـوافـدة عـلـى الحـالـة النفسية للمستلم، لذا نرى سوريل يشعـر بـالـضيـاع والإحبـاط والارتباك بعد أن تهاجمه الأصوات والصراخات المفزعة التي تصم الأذان لها.

يقـول: "لقـد كـنـت أرزح تحت ذاكـرتـين تمتـزجـان في بعـض الأحيان" ويستشهد بقول سبينوزا: "إن رغبـة كل الأشيـاء تتـمثل في الاستمرار على حالها فالحجارة تريد أن تظل حجارة والنمر نمراً، أمـا أنـا فكنت أريـد أن أصبح هيرمان سوريل ثانية".

كل هذه الأسباب دفعت بـ (سوريل) إلى التخلص من ذاكرة شكسبير مختاراً أسهل الطرق فقد اتصل برقم هاتفي على نحو اعتباطي، وعندما أجاب الرجل،

سـأله سـوريل: "آتـريـد ذاكـرة شكسبير. فكر ملياً أنه عرض جاد وفي وسعي إثبات ذلك ".

فرد صوت غير مصدق . سـأقبل المجازفة، سـأقبل ذاكرة شكسبير".

ويحـاول (سـوريل) التـخلص من أثار الذاكرة الشكسبيرية والتطهر منها ومحوها إلى الأبد بدراسة مثيولوجية وليم بليك، بيد أنه وجد الحل الأنفع، في نهاية المطاف الموسيقى الفخمة باخ.

خاتم سليمان والاشتغال على الشرقيات

لقد تأثر بورخس في أغلب قصصه بعوالم الشرق وسحره، يدل هذا على تولّه بسحر الشرق، كما يدل على قراءاته الموسوعية والثقافية لا سيما الأدب العربي، وحكاياته الـسـحـريـة؛ وقـد عـملـت هـذه الحكايات كما هـو معـروف على تصعيد الخيال الغربي وتأجيجه عبـر القـرون المختلفـة، وتفجيـر صـورة خيـالـيـة عن الـشـرق غيـر مـوجـودة إلاّ في عقـول الغـربيين؛ لقد وظف بورخس حكاية الشحاذ وكمـا رواهـا الـرائـد (بـاركلي) في حـوار دار بـينـه وبـين (ثـورب) و (سوريل) عندما كان في البنجاب، وقد شاهـد شحـاذاً يمتلك خـاتم سليمان، وقد عجـز عن بيعه، لأن قيمـة الخـاتم كـانـت (تفـوق كل تصور، وهو ما جعل الشحاذ عاجزاً عن بيعه، وتوفي في فناء مسجد فـضل خـان في لاهـور) ؛ وقـد اخـتلفـت الآراء في مكـان هـذا الخاتم قيل أنه ضاع شأنه في ذلك شـأن كل قطعـة سحـريـة، أو ربمـا خبئ في مكان سري في المسجد، أو في أصبع شخـص مـا؛ وبعـد أن انتهى الحديث، وغادر باركلي مودعهما، اقترح ثورب على الراوي أن يكملا الحديث في غرفته، وإذا به يقول:

" . أتـريـد أن تحصل على خـاتم سليمـان، أنني أمنحك إياه هـذه استعـارة بطبيعـة الحـال، إلاّ أن الاستعارة تمثل كل شيء مدهش كذلك الخاتم ذاكرة شكسبير منذ صباه وحتى بواكير شهر نيسان/ أبـريل ١٦١٦ أمنحك إيـاه"؛ تعد هذه الحكاية الخيط الرابط بين الفنطـازيـا والـسحـريـة، ويعـرف روجي كايو (السحري): بأنه عالم عجائبي يضاف إلى عالم الحقيقة دون مـسه في شيء ودون تـدمـيـر التماسك، بينما يجيء الفنطازي على عكس ذلك كما وضحنا ذلك.

وأخيراً لابد من القول أن بعض مكـونـات الـنص الفـنطـازي هي نفسها مكونات الحكاية السحرية وهذا ما أدى بها إلى أن تساهم في تطعيم الفنطازي، وتمده بمواضيع تم تجديدها وتلميعها على ضوء الراهن ومعطياته ...وقد ظل هذا التطعيم متفاوتاً ومتغيراً داخل الأجناس الأدبية.

في لقاء مع الفنان يوسف العاني:

ملتقى الشارقة الثالث للمسرح العربي الافضل والانبل في لغة المسرح العربي

عبـد العـليـم البنـاء

في يومي العشرين والحادي والعشرين من شهر كانون الأول المنصرم عقدت دائـرة الـثـقـافـة والاعلام بحكـومـة الشارقـة (ملتقى الشارقة الثالث للمسرح العربي) تحت عنوان (اللغة في المسرح - حلقة بحث عربية) وقد اقيم هـذا الملتقى الـذي دعـا الـى اقـامـته حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القـاسمي في قصر الثقافة بمشاركة كوكبة من رموز مسرحنا العربي من مشرقه الى مغربه ليدلوا بدلوهم في موضوع اللغة في المسرح والذي يشكل قضية مهمة وجوهرية في مسار المسرح العربي..

وكان من ضمن المدعوين لهذا الملتقى والمشاركين فيه بفاعلية الفنان القدير الاستاذ يوسف العاني الذي كان لنا معه هذا اللقاء لتسليط الضوء على هذا الملتقى الفكري النوعي في اطاره المسرحي الذي يعد احد ابرز وجوه الابداع الثقافي والفني عربيا وعالميا..

يقـول الـعـاني مـسـتـعـرضـاً محـاور الملتقى: تفرعت من موضوعة البحث (اللغة في المسرح) خمسة محاور اولها (اللغة في المسرح- مستويات التعبير اللغوي) وتحـدث فيه كل من : أمنـة الربيع من سلطنة عمان وغنام غنام مـن الاردن والـثـانـي (الـفـصحـى والعامية في المسرح العربي - شقاق ام وفـاق) وتحـدثـت فيه انـا ممثلاً عن العراق وعبد الحق الزروالي من المغرب والدكتور جان داود من لبنان اما المحور الثالث فتناول (العاميات واللهجات في التجربة المسرحية العربية) وتحدث فيه وليد اخلاصي من سوريا وهاشم صديق من السودان ومحمد المديوني من تونس في حين تناول المحور الرابع (تأثير الفضائيات على لغة المسرح) وتحدث فيه فـاروق عبـد القـادر من مصر وعبده وازن من لبنان ويـوسف الحمـدان من البحـرين امـا المحـور الخامس والاخير فكان عن (العولمة واللغة في المسرح الخليجي) تحدث فيه الـدكتـور محمـد مبـارك بلال من الكويت وعمر غباش من الإمارات.. وقد ادار جلسات الملتقى التي انعقدت على مدى يومين متصلين كل من عبد المحسن الشمري من الكويت والدكتور حبيب غلـوم واحمـد الجـسمي من الإمارات.

❖ وماذا عن المناقشات والمداخلات على المتحـدثين الأسـاسـيين وطبيعـة المشاركين من غير هؤلاء المتحدثين..؟

- شـاركت في مـنـاقـشـات الملتقـى وتداخلت مع المتحدثين الأساسيين ثلة من مبدعي المسرح العربي بينهم: فؤاد الشطي وعبد العزيز الحداد من الكـويت وحـاتم الـسيـد من الاردن والدكتور جلال جميل والدكتور جبار خماط حسن والدكتور حسين علي هارف والـدكـتـور عـوني كـرومي من العـراق وطـالـب البلـوشي من عمـان وغـانم السليطي من قطـر وفتحي الهراوي من تونس..

كما ساهمت في الملتقى مجموعة من الفنـانين المحليين والفنـانين العـرب المقيمين في دولـة الإمـارات العـربيـة المتحدة.

❖ وهل شهد الملتقى فعاليات مصاحبة خارج حلقة البحث؟

- صاحب الملتقى عرضان مسرحيان عـرضـاً في اليـوم الأول والـثـاني هـمـا مسرحيـة (الـتـراب الاحـمـر) لفـرقـة المسرح الحديث بالشارقة وهي من تـأليف مـرعي العليـان ومن اخـراج حسن رجب ومـسـرحيـة (كـدت أراه) تـأليف وتمثيل الفنـان المغـربي عبـد الحق الزروالي.. كما صاحبت الملتقى توقيعات على مجموعة من اصدارات دائـرة الـثـقـافـة والاعلام لـكـتـاب مسرحيين شاركوا في الملتقى.. كما التقى المشاركون بحاكم الشارقة الشيخ القاسمي ليؤكدوا ان هذا الملتقى يمثل ويشكل تفعيلاً للساحة المسرحية العربية ورفدها بالمزيد من الابداعات والانجازات وبكل ما من شأنه ان يعزز مسيرة المسرح العربي ويعلي مكانته ..

❖ وما هي التوصيات التي خرج بها الملتقى..؟

- شكلت لجنـة لاعـداد الـتـوصيـات والوثيقـة الختـامـية بـرئـاسـة وليـد اخلاصي وعضوية محمد مبارك بلال وجـان داوود ومحمـد الميـدوني وغـنـام غنام ومحمد عبد الله آل علي وخرجت بعدة توصيات تمخضت عن الملتقى وتمثلت بـالـدعـوة الـى دعم الجهـود الساعية الى اعطاء اللغة العربية الفصحى الأهمية اللائقـة بهـا في الابداع المسرحي عبر تشجيع الكتاب والمخـرجـين عـن طـريق الجـوائـز التحفيزية.. وتعزيز استخدام العربية الدارجة ذات البعد الجمالي والحاملة خصوصيات الشعب وثقافته.. ودعوة المؤسسات الثقافية في الوطن العربي الـى تكثيف الملتقيـات التطبيقيـة والعملية في مجال تدريب الفنانين - كتاباً ومخرجين وممثلين- بغية تطوير مهاراتهم في مجالات اللغة المسرحية - فصيحـة كـانـت ام دارجـة-... ودعم الجهود الرامية الى انجاز قـامـوس مـرجعي للمصطلحـات المسـرحيـة النقدية والثقافية والفنية باللغة العربية.. وضرورة اعتبار المسرح مادة أساسية من مواد التكوين في مناهج التدريس في مختلف مراحل التعليم .. وتثبيت ملتقى الشارقة للمسرح العربي كتظاهرة بحثية تعمل على رفـد الحيـاة العـربيـة بـالانجـازات والدراسات والانجازات المسرحية..

تـــأمـــــلات

رسميه محيبس زاير

لم اعد اصطفي من سمائي
سوى نجمة
كنت اروي لها أرقي
فجأة
سقطت
في إناء الصباح
لم اعد اقلب أوراق قلبي
فالربيع مر في سرعة
دون ان اتبينه
أو احس به
وردة في الضباب
كم احب الشتاء
كلما أمطرت
تتجدد آصرتي بالسماء
ندمت لأني
كتبت على الماء اسمي
ولم تقرأ اليابسة
ورحت اعللهُ
بانقلاب الفصول
أو زحمة الدرب
أو غربة الورد في الغاب
او قلق الروح
عند الغروب
دوماً يغزوني البحر
ولا يترك
غير الملح على شفتي
ها انا امسك خارطة وأمزقها
أمحو مدنا
أقيم جسوراً
اشطب عش الطير
اهوي بالصوت على صنم الصمت
اصرخ
وأكون صدى صوتي
أشعل نيرانا
إلا أني لا احصد غير رماد
ارسم خمس حمامات
واحدة بيضاء
الطخ بالأحمر جنحيها
واحدة في رقبتها حبل من
أخرى معتمة كالقهوة
الأخرى تمحوها الغيمة
واحدة سقطت بين يدي
تئن
فكيف سأشطبها؟!